جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى الأشتر النخعي لما ولاه مصر

أ.د. جعفر عبدالسلام علي

٢٠٠١م

كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى الأشتر النخعي لما ولاه مصر

أ.د. جعفر عبدالسلام علي

كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى الاشتر النخعي لما ولاه مصر

تمهيـــــــد

١ ـ نشرت منذ حوالي عشر سنين دراسة عن الصحيفة أو دستور المدينة في مجلة الجمعية المصرية للقانون الدولي، بعد أن تحدثت عنها في محاضرة عامة ألقيتها بهذه الجمعية. وقدمها وعلق عليها المغفور له بإذن الله الدكتور محمد طلعت الغنيمي. كانت لغة الصحيفة تختلف عن اللغة التي نستخدمها اليوم في كتاباتنا القانونية، لأنها كتبت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، إذ أن الوثيقة المذكورة أعلنها الرسول عليه الصلاة والسلام في تأسيسه لدولة المدينة في العام الأول للهجرة. وكانت هذه الوثيقة كما وصفها بعض المستشرقين أمراً هاماً أو «لقيه» على حد تعبيره. فلم يكن أحد يتوقع أن يجد وثيقة تليت في منزل يهودية هي ـ دمنة بنت الحارب ـ وشهدها ووافق عليها أهل المدينة بمختلف بطونهم وطوائفهم من يهود ووثنيين ثم مهاجرين وأنصار.

٢ ـ وكان البعد السياسي الهام في الوثيقة هو التنبه إلى فن إنشاء المجتمع السياسي الذي يقوم على توحيد شعب ذي ديانات وأصول مختلفة في ظل دولة عقائدية هي الدولة الإسلامية وأن يكون الأساس الذي يجمع هذا الشعب، هو الموافقة على «دستور» يعطي الحقوق ويفرض الواجبات، ويحدد العلاقات بين السكان وما يجب أن تكون عليه وكذلك يحدد العلاقة بين أصدقاء الدولة وأعدائها في عمل قانوني غير مسبوق على حد علمي.

وكنت آمل أن أستمر في نشر وثائق من نفس الأهمية بعد دراستها والتعليق عليها وتحديد الأبعاد القانونية فيها وتقريبها من اللغة القانونية المستخدمة في الوقت الحاضر.

٣ـ وقد كان السبب الرئيسي في عقد ندوة عن حقوق الإنسان في الإسلام في مدينة الرياض هو إظهار مبادئ ومفاهيم الإسلام المثبوتة في الوثائق لأسباب عديدة هي :

أ ـ إن هذه الوثائق ذات أهمية فائقة في تحديد رؤية المسلمين لحقوق وواجبات المواطن في الدولة الإسلامية سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.

ب ـ إن هذه الوثائق لم تنل حظها في الدراسات العديدة التي تمت حول الإسلام وشريعته ومصادرها ونظرته للإنسان وحفظه لكرامته.

ج ـ إن هذه الوثائق تكشف عن رؤية صائبة وبعد رأي ونفاذ بصيرة لدى المسلمين وقادتهم، وتمثل سبقاً في تناول قضايا وموضوعات لم يقم به غير المسلمين إلا بعد سنوات أو قرون عديدة.

د ـ إن قضايا حقوق الإنسان وحرياته قد تم تناولها في السنوات الأخيرة بشكل مكثف وتم مناقشة الوثائق الدولية الحديثة فيها ومقارنتها بمبادئ الإسلام في هذا الخصوص، لكن الوثائق التي صدرت عن الدولة الإسلامية وحكامها وحكمائها وقادتها لم يتم تناولها بالشكل المطلوب.

لذا سيكون أحد المحاور الهامة لهذه الندوة هو تناول وثائق متصلة اتصالاً وثيقاً بحقوق الإنسان وحرياته وبما تم التعبير عنها بلغة مختلفة. وفي إطار يتناسب مع حقائق الإسلام، ودور العقيدة الإسلامية في

صياغة مختلف الأحكام التشريعية والدستورية والقانونية بشكل عام.

٤ ـ ويهمني أن اتناول إحدى الوثائق الهامة الآن، هي هذا الكتاب الهام الذي وجهه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى واليه على مصر الآشتر النخعي، بعد أن اضطربت الأحوال في عهد الوالي السابق محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، إن الكتاب يمثل وثيقة هامة من وثائق الدولة الإسلامية، ويضع أسساً هامة يجب على الحكام جميعهم أن يراعوها في علاقاتهم بالشعب الذي يحكمونه.

وقد اهتم الإمام محمد عبده بهذا الكتاب ووجد أنه يستحق الشرح والتوضيح. كما أن الشيخ أحمد محمد أحد الكتاب الذين عملوا في مكتبة الأزهر قد تنبه إلى أهميته فأخرجه من كتاب مطول لكي يسهل تداوله ويقبل العلماء على دراسته وتناوله.

ويسعدني أن أوضح الأبعاد المتصلة بحقوق الإنسان وحرياته في هذا الكتاب.

وقبل قيامي بهذا التناول يسعدني أن أوضح الحقائق التالية:

١ ـ إن روح العقيدة الإسلامية والتي تتجلى في وجوب التقرب من الله، وجعل كل ما يفعله الإنسان المؤمن من خير يبتغى به ثواب الله واتقاء عذابه، واضحة تمام الوضوح في هذه الوثيقة وهو بعد لا نجده في الوثائق الحديثة التي تتناول حقوق الإنسان وحرياته. وهي وثائق الأساس الأول فيها هو الفصل بين الأحكام القانونية والدستورية وبين أحكام الدين والعقيدة أي الأساس العلماني.

٢ ـ إن هناك العديد من الحقوق التي لا نجدها في المفاهيم التقليدية لنظرية الحقوق والحريات العامة بالمفاهيم الغربية.

وهذه مسألة هامة يجب أن نتنبه إليها من الآن. فلا شك أن صياغة الحقوق بالمفاهيم الغربية الحديثة يختلف عن الصياغة التي تولاها فقهاء المسلمين، وهنا فإنه يمكننا دائماً أن نستدعي الصياغات الإسلامية للحقوق والحريات، ونوطن أنفسنا على استخدامها، كما أننا يمكن أن نتحدث عن حقوق وردت في الوثائق الإسلامية لا نجدها في المواثيق الحديثة.

٣ـ إن هذا الكتاب يركز على الحقوق السياسية، وبالذات على تلك الحقوق التي يجب أن يراعيها الحاكم في تعامله مع المحكومين ومن هنا فإننا نقول أن الحكم بالتشريعات التي أنزلها الله على رسوله أحد حقوق الإنسان. ورد المشكلات التي تواجه الحاكم ولا يجد لها حكماً صريحاً في كتاب أو سنة، هو حق من حقوق الإنسان، بل إن تطبيق شريعة الله في الأرض هي أول وأهم حقوق الإنسان، لأنها تخرج الناس من عبادة الإنسان إلى عبادة الله، وتحقق أقصى قدر من السمو الخلقي في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان.

كذلك تهتم هذه الوثيقة اهتماماً بالغاً بتنبيه الحاكم إلى ضرورة تقوى الله، بما يحمله هذا المعنى من الخوف من الله ومراعاة ما يوجبه علينا من أمور في تعاملاتنا مع بعضنا البعض، ويسود في الوثيقة ضرورة تحقيق العدالة والانصاف في المجتمع الإسلامي وهو في تقديري من أهم حقوق الإنسان التي ربما لا نجد تعبيراً مباشراً عنها في الوثائق الحديثة.

ونظراً للطابع السياسي لهذه الوثيقة ولأنها صدرت في وقت اضطربت فيه الأمور وكان المسلمون يعيشون في ظل الفتنة الكبرى عقب مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه، والتنازع على الخلافة بين الإمام علي كرم الله

وجهه، ومعاوية بن أبي سفيان، فنجد اهتماماً واضحاً بالشروط الواجب توافرها فيمن يتولى أمر المسلمين، وبالواجبات المتبادلة بين الراعي والرعية وبالأسلوب الذي يجب أن يتم التعامل به مع العمال والزراع واصحاب الحرف. كذلك تعتبر من حقوق الإنسان اختبار الأصلح لحكمهم، ومن حقوقهم أيضاً أن يكون أخذ حقوق الدولة وفقاً للشرع الإسلامي مع الترفق بضعيفهم، وعدم إرهاق أحد في تحصيل الزكاة أو الخراج.

وهكذا نمضي في تتبع الحقوق والواجبات التي تحتويها هذه الوثيقة الهامة من وثائق الدولة الإسلامية. ونبدأ بعرض نص الوثيقة وشرح الإمام محمد عبده لها، ثم نتناول بالتفصيل مبادئ حقوق الإنسان التي وردت فيها.

نـــــص الوثيقـــــة

مقتبس السياسة وسياج الرياسة

كتاب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه إلى الاشتر النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب محمد بن أبي بكر وهو اطول عهد واجمع كتبه للمحاسن .

××××××××××××

شرح ألفاظه اللغوية حضرة صاحب الفضيلة العالم الكامل الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي أفندي الديار المصرية شرحاً غاية في الإيجاز والإفادة وقد أذن حفظه الله بطبعه .

حقوق الطبع محفوظة

طبع على نفقة احمد محمد كاتب كتبخانة الأزهر الشريف سنة ١٣١٧هـ

طبع بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر .

مقدمـــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله على مترادف نعمه أفضل ما نطق به اللسان. وشكره على متناسق كرمه آكد واجب على كل من أوتي قوة البيان.

والصلاة والسلام على من أعجز بنوابغ كلمه مداره الفصحاء. وعلى آله واصحابه قادة أعاظم البلغاء. وبعد فلما كانت وظيفتي وهي الاشتغال بالكتابة في مكتبة الجامع الأزهر الشريف من شأنها أني أطلع على معظم ما في هذه المكتبة من الأسرار الجليلة واتصفح كثيراً من كتبها المفيدة فبينما انا اطالع في كتاب منها اذا عثرني حسن حظي على عهد جليل لفارس حلبة البيان أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه إلى الأشتر النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب محمد بن أبي بكر ورأيت أنه قد جمع أمهات السياسة وأصول الإدارة في قواعد حوت من فصاحة الكلم وبلاغة الكلام وحسن الأسلوب ما لا يمكن لعاجز مثلي أن يصفه فدهشت جداً لما لم اجد لهذا الكتاب تداولاً على ألسن المتكلمين بالعربية خصوصاً المشتغلين بتعلمها من طلبة الأزهر والمدارس مع أنه كان من الواجب أن مثل هذا الكتاب يحفظ في الصدور لا في السطور وفكرت في سبب ذلك فرجحت أنه يرجع إلى أمرين اولهما ندرة وجود الكتاب المشتمل على هذا العهد وعدم تيسر الحصول عليه لكثير من الطلاب ثانيهما ما اعتدناه من التكاسل عن مطالعة الكتب اذا كانت كبيرة الحجم فأخذت على نفسي أن أزيل هذين المانعين وذلك بطبع هذا العهد مستقلاً عن الكتاب ليكون في زهادة ثمنه وصغر حجمه ما يحدو بمرتادي البلاغة والساعين وراء تحصيل ملكة الإنشاء إلى الحصول عليه ومطالعته المرة بعد

المرة بل حفظه كما أني أخذت على نفسي أيضاً أن أنشر تباعاً ما أقف عليه من أمثال هذا الكتاب النفيس علني بذلك أؤدي بعض ما يجب علي من الخدمة للغتي وأمتي وديني والله المستعان وهو حسبي وبه ثقتي .

(أحمد محمد)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبدالله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه .

وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات ! فإن النفس إمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجزي الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح .

---

(١) ويزعها اي يكفها عن مطامعها اذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح .

فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك[1] فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل[2] وتعرض لهم العلل ويؤتى[3] على أيديهم في العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم[4] وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله[5] فانه لا يدري لكولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة[6] ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولنَّ إني مؤمر آمر فاطاع[7] فإن ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير.

---

(١) شح ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل فليس الحرص على النفس ايفاءها كل ما تحب بل من الحرص عليها ان تحمل على ما تكره ان كان ذلك في الحق فرب محبوب يعقب هلاكاً ومكروه يخمد عاقبة

(٢) يفرط يسبق والزلل الخطا.

(٣) يؤتى مبني للمجهول نائب فاعله على ايديهم وأصله تؤتى السيئات على ايديهم الخ

(٤) استكفاك طلب منك كفاية امرهم والقيام بتدبير مصالحهم.

(٥) اراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور ولا يدي لك بنقمة أي ليس لك يدان تدفع نقمته أي لا طاقة لك بها.

(٦) بجح به كفرح لفظاً ومعنى والبادرة ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل والمندوحة المتسع اي المخلص.

(٧) مؤمر كمعظم اي مسلط والادغال ادخال الفساد ومنهكة مضعفة نهكه اضعفه والغتر بكسر ففتح حادثات الدهر بتبدل الدول. والاغترار بالسلطة تقرب منها أي تعرض للوقوع فيها.

واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة[1] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك[2] ويكف عنك من غربك ويفيئ اليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته[3] والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادة ومن خاصمه الله أدحض حجته[4] وكان الله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحد الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضي الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة[5] وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس احد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل معونة له في البلاء وأكره.

---

(١) الإبهة بضم الهمزة وتشديد الباء مفتوحة العظمة والكبرياء والمخيلة بفتح فكسر الخيلاء والعجب

(٢) الطماح ككتاب النشوز والجماح ويطامن أي يخفض منه والغرب بفتح فسكون الحدة ويفيئ يرجع اليك بما عزب أي غاب من عقلك.

(٣) المساماة المباراة في السمو أي العلو.

(٤) من لك فيه هوى أي لك اليه ميل خاص.

(٥) ادحض أبطل وحربا اي محاربا وينزع كيضرب اي يقلع عن ظلمه يجحف اي يذهب برضى الخاصة فلا ينفع الثاني معه اما لو أسخط الخاصة ورضى العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر.

للانصاف وأسأل بالالحاف[1] وأقل شكرا عند الاعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة[2] وإنما عماد الدين وجماع المسلمين[3] والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس[4] فإن في الناس عيوباً الوالي احق من سترها[5] فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك

أطلق عن الناس عقدة كل حق[6] واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع فان الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين.

ولاتدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل[7] ويعدك الفقر

---

(١) الالحاف الالحاح والشدة في السؤال.
(٢) من أهل الخاصة متعلق باثقل وما بعده من افاعل التفضيل.
(٣)جماع الشي بالكسر جمعه اي جماعة الإسلام. والعامة خبر عماد وما بعده.
(٤) أشنأهم أبغضهم والأطلب للمعائب الأشد طلباً لها.
(٥) ستر فعل ماض صلة من أي أحق الساترين لها بالستر.
(٦) أي أحللعقد الاحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم واقطع عنك اسباب الاوتار اي العداوات بترك الاساءة إلى الرعية والوتر بالكسر العداوة وتغاب اي تغافل والساعي هو النمام بمعائب الناس.
(٧) الفضل هنا الاحسان بالبذل ويعدك يخوفك من الفقر لو بذلت والشره بالتحريك أشد الحرص.

ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى[1] يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة[2] فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة وأنت وأجد منهم خير الخلف[3] ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم[4] ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على اثمه اولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك الفاً[5] فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك[6] واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً من هواك حيث وقع[7] والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك[8] ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة.

---

(١) غرائز طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله.
(٢) بطانة الرجل بالكسر خاصته وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته والأثمة جمع آثم فاعل الاثم أي الذنب والظلمة جمع ظالم.
(٣) منهم متعلق بالخلف او متعلق بواجد ومن مستعملة في المعنى الاسمي بمعنى بدل.
(٤) الآصار جمع إصر بالكسر وهو الذنب والاثم وكذلك الاوزار
(٥) الالف بالكسر الالفة والمحبة.
(٦) ليكن افضلهم لديك اكثرهم قولاً بالحق المر ومرارة الحق صعوبته على نفس الوالي.
(٧) واقعاً حال مما كره الله اي لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ميلك اليه اي منزلة أي وإن كان من أشد مرغوباتك.
(٨) رضهم أي عودهم على أن لا يطروك أي يزيدوا في مدحك ولا يبجحوك أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته والزهو بالفتح العجب وتدني أي تقرب من العزة اي الكبر.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيدا لأهل الاحسان في الاحسان وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه[1].

وأعلم انه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من احسانه إليهم[2] وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم[3] فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً[4] وإن أحق من حسن ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده[5]، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء[6] في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك.

وأعلم إن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها

---

(١) فإن المسيء الزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن الزم استحقاق الكرامة.
(٢) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له فان الإحسان قياد الإنسان فيحسن ظنه بهم بخلاف ما لو أساء اليهم فان الاساءة تحدث العداوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم.
(٣) قبلهم بكسر ففتح اي عندهم.
(٤) النصب بالتحريك التعب.
(٥) البلاء هنا الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً وتفسير العبارة واضح مما قدمنا.
(٦) المنافثة المحادثة.

عن بعض. فمنها جنود الله. ومنها كتاب العامة والخاصة[1] ومنها قضاة العدل. ومنها عمال الإنصاف والرفق. ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذّمة ومسلمة الناس. ومنها التجار وأهل الصناعات. ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة. وكلا قد سمى الله سهمه[2] ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم[3]. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد[4] ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[5] ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

---

(١) كتاب كرمان جمع كاتب والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة كالخراج والمظالم ومنهم مختصون بالحاكم يفضي اليهم بأسراره ويوليهم النظر فيما يكتب لاوليائه واعدائه وما يقرر في شؤون حربه وسلمه مثلاً.

(٢) سهمه نصيبه من الحق.

(٣) أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

(٤) هو وما بعده نشر على ترتيب اللف. والمعاقد العقود في البيع والشراء وما شابهها مما هو من شأن القضاة. وجمع المنافع من حفظ الأمن وجباية الخراج وتصريف الناس في منافعهم العامة ذلك شأن العمال. والمؤتمنون هم الكتاب.

(٥) الضمير للتجار وذوي الصناعات أي انهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق اي المنافع التي يجتمعون لاجلها ولها يقيمون الاسواق. ويكفون سائر الطبقات من الترفق أي التكسب بايديهم مالا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم[1] وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيباً[2] وافضلهم حلماً ممن يبطىء عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء[3] وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف.

ثم الصق بذوي الأحساب[4] وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[5] ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به[6] وإن قل فانه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

---

(١) رفدهم مساعدتهم وصلتهم.

(٢) جيب القميص طوقه ويقال نقي الجيب اي طاهر الصدر والقلب والحلم والعقل.

(٣) ينبو يشتد ويعلو عليهم ليكف ايديهم عن ظلم الضعفاء.

(٤) ثم الصق الخ تبيين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه وشرح لاوصافهم وجماع من الكرم مجموع منه. وشعب بضم ففتح جمع شعبة. والعرف المعروف.

(٥) تفاقم الأمر عظم أي لا تعد شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون فكل شيء قويتهم به واجب عليك اتيانه وهم مستحقون لنيله.

(٦) أي لا تعد شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته بل كل تلطف وان قل فله موقع من قلوبهم.

وليكن آثر رؤوس جندك عندك[1] من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم

ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو فإن عطفك عليهم[2] يعطف قلوبهم عليك وان أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدرهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم[3] وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم[4] فإن كثرة الذكر لحسن افعالهم تهرُ الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله . ثم أعرف لكل امرىء منهم ما أبلى ولا تضيفنّ بلاء امرىء إلى غيره[5] ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرىء إلى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيماً .

---

(١) آثر أي أفضل وأعلى منزلة . فليكن افضل رؤساء الجند من واسى الجند اي ساعدهم بمعونته لهم . وأفضل عليهم أي افاض وجاد من جدته . والجدة بكسر ففتح الغني والمراد ما بيده من ارزاق الجند وما سلم اليه من وظائف المجاهدين لا يقتر عليهم في الفرض ولا ينقصهم شيئاً مما فرض لهم بل يجعل العطاء شاملاً لمن تركوهم في الديار من خلوف الاهلين جمع خلف بفتح فسكون من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال .

(٢) عليهم أي على الرؤساء .

(٣) حيطة بكسر الحاء من مصادر حاطه بمعنى حفظه وصانه اي بمحافظتهم على ولاة امورهم وحرصهم على بقائهم وأن لا يستثقلوا دولتهم ولا يستبطئوا انقطاع مدتهم بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله .

(٤) ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم . فتعديد ذلك يهز الشجاع اي يحركه للاقدام ويحرض الناكل اي المتأخر القاعد .

(٥) لا تنسبن عمل امرء إلى غيره ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجميل .

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب[1] ويشتبه عليك من الامور فقد قال تعالى لقوم أحب ارشادهم ﴿ **يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم[2] كتابه والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[3].

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك[4] في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم[5] ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه[6] ولا تشرف نفسه على طمع[7] ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه[8] أوقفهم في الشبهات[9] وآخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا

---

(١) ضلع فلاناً كمنع ضربه في ضلعه والمراد ما يشكل عليك.
(٢) محكم الكتاب نصه الصريح.
(٣) سنة الرسول كلها جامعة ولكن رويت عنه سنن افترقت بها الآراء فاذا اخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبته اليه.
(٤) ثم اختر الى انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة.
(٥) أمحكه جعله محكان أي عسر الخلق أو أغضبه أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه والزلة بالفتح السقطة في الخطأ.
(٦) حصر كفرح ضاق صدره أي لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.
(٧) الإشراف على الشئ الاطلاع عليه من فوق فالطمع من سافلات الأمور من نظر اليه وهو في علي منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة فما ظنك بمن هبط إليه وتناوله.
(٨) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم واقر به دون أن يأتي على اقصى الفهم بعد التأمل.
(٩) هذا وما بعده اتباع لافضل رعيتك. والشبهات مالا يتضح الحكم فيها بالنص فينبغي الوقوف عن القضاء حتى يرد الحادثة إلى اصل صحيح والتبرم الملل والضجر. واصرمهم اقطعهم للخصومة.

يزدهيه إطراء[١] ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه[٢] وأفسح له في البذل ما يزيل علته[٣] وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[٤] ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً[٥] ولا تولهم محاباة وأثرة فانها جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء[٦] من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فانهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ عليهم الأرزاق[٧] فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم أن خالفوا أمرك أو ثلموا

---

(١) لا يزدهيه لا يستخفه زيادة الثناء عليه.
(٢) تعاهده تتبعه بالاستكشاف والتعرف وضمير قضائه لأفضل الرعية الموصوف بالاوصاف السابقة.
(٣) البذل والعطاء اي اوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته.
(٤) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرأ أحد على الوشاية به عندك خوفاً منك واجلالاً لمن اجتللته.
(٥) ولهم الأعمال بالامتحان لا محاباة أي اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم وأثره بالتحريك أي استبداداً بلا مشورة فانهما أي المحابات والأثرة يجمعان الجور والخيانة.
(٦) توخ أي أطلب وتحر أهل التجربة الخ والقدم بالتحريك واحدة الأقدام أي الخطوة السابقة وأهلها هم الأولون.
(٧) اسبغ عليه الرزق اكمله واوسع له فيه.

أمانتك[1] ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم[2] فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم[3] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان فان أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[4] اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم. ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض وأبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا فإن شكوا ثقيلاً[5] أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق واجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلن عليك شيء

---

(١) نقصوا في ادائها وخانوا.

(٢) العيون الرقباء.

(٣) حدوة أي سوق لهم وحث.

(٤) اجتمعت الخ اي اتفقت عليها أخبار الرقباء.

(٥) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته أو انقطاع شرب بالكسر أي ماء في بلاد تسقى بالانهار أو انقطاع بالة أي ما يبل الأرض من ندى ومطر فيما تسقى بالمطر أو احالة أرض بكسر همزة احالة أي تحويلها البذر إلى فساد بالتعفن لما اغتمرها أي عمها من الغرق فصارت غمقة كفرحة أي غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذور فيها غمقاً ككتف أي له رائحة خمة وفساد ونقصت لذلك غلاتهم أو اجحف العطش أي ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم تنبت فعليك عند الشكوى أن تخفف عنهم.

خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم[1] معتمداً افضل قوتهم[2] بما ذخرت عندهم من أجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك في رفقك بهم.

فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به[3] فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتي خراب الأرض من اعواز أهلها وإنما يعوز أهلها الإشراف أنفس الولاة على الجمع[4] وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتابك[5] فول على أمورك خيرهم وأخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك باجمعهم لوجود صالح الأخلاق[6] ممن لا تبطره الكرامة فيجترى بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به

---

(١) التبجح السرور بما يرى من حسن عمله في العدل.

(٢) أي متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند اليه عند الحاجة وانهم يكونون سنداً بما ذخرت عندهم من اجمامك أي اراحتك لهم. والثقة منصوب بالعطف على فضل.

(٣) طيبة بكسر الطاء مصدر طاب وهو علة لاحتملوه أي لطيب أنفسهم باحتماله فإن العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت أهله سهل عليهم ان يحتملوا والاعواز الفقر والحاجة.

(٤) لتطلع انفسهم إلى جمع المال ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا.

(٥) ثم انظر الخ انتقال من الكلام في اهل الخراج إلى الكلام في الكتاب جمع كاتب.

(٦) باجمعهم متعلق باخصص أي ما يكون من رسائلك أو بالشيء من المكائد للأعتداء وما يشبه ذلك من اسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جمع الاخلاق الصالحة ولا تبطره أي لا تطغيه الكرامة فيتجرأ على مخالفتك في حضور ملأ وجماعة من الناس فيضر ذلك بمنزلتك منهم.

الغفلة[1] عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك[2] ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك[3] وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم[4] وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة أثرا وأعرفهم بالامانة وجهاً فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من امورك راساً منهم[5] لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته[6].

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات[7] وأوص بهم خيراً المقيم منهم

---

(١) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من عمالك ولا في اصدار الاجوبة عنه على وجه الصواب بل يكون من النباهة والحذق بحيث لا يفوته شيء من ذلك.

(٢) أي يكون خبيراً بطرق المعاملات بحيث اذا عقد لك عقداً في اي نوع منها لا يكون ضعيفاً بل يكون محكماً جزيل الفائدة لك واذا وقعت مع احد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد.

(٣) الفراسة بالكسر قوة الظن وحسن النظر في الأمور والاستنامة السكون والثقة اي لا يكون انتخاب الكتاب تابعاً لميلك الخاص.

(٤) يتعرفون للفراسات أي يتوسلون إليها لتعرفهم.

(٥) أي اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الاعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها.

(٦) اذا تغابيت اي تغافلت عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقابك.

(٧) ثم استوص انتقال من الكلام في الكتاب إلى الكلام في التجار والصناع.

والمضطرب بماله [1] والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلا بها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبالك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها[2] ولا يجترئون عليها. فإنهم سلم لا تخاف بائقته[3] وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً[4] واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة.

فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع[5] فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه[6]. فنكل به وعاقب في غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والحتاجين واهل البوسى والزمنى[7] فان في هذه الطبقة قانعاً

(١) المتردد بامواله بين البلدان والمترفق المتكسب والمرافق تقدم تفسيرها بالمنافع وحقيقتها وهي المراد هنا ما به يتم الانتفاع كالآنية والأدوات ومايشبه ذلك.

(٢) أي ويجلبونها من امكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.

(٣) فانهم علة لاستوص وواص والبائقة الدهية. والتجار والصناع مسالمون لا تخشي منهم داهية العصيان.

(٤) الضيق عسر المعاملة والشخ والبخل. والاحتكار حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة.

(٥) المبتاع المشتري.

(٦) قارف أي خالط والحكرة بالضم الاحتكار. فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهي عنه فنكل به أي اوقع به النكال والعذاب عقوبة له لكن من غير اسراف في العقوبة ولا تجاوز عن حد العدل فيها.

(٧) البوسى بضم أوله شدة الفقر والزمنى بفتح أوله جمع زمان وهو المصاب بالزمانة بفتح الزاي أي العاهة يريد ارباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.

ومعتراً[1] واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد[2] فان للاقصى منهم مثل الذي للأدنى. وكل قد استرعيت حقه. فلا يشغلنك عنهم بطر[3] فانك لا تعذر بتضييعك التافه[4] لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم[5] ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون[6] وتحقره الرجال. ففرغ لأولئك ثقتك[7] ومن أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله يوم تلقاه[8] فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتم[9] وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل. والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

---

(١) القانع السائل من قنع كمنع اي سأل وخضع وذلك وقد تبدل القاف كافاً فيقال كنع والمعتر بتشديد الراء المتعرض للعطاء بلا سوال واستحفظك طلب منك حفظه.

(٢) صوافي الإسلام جمع صافية وهي ارض الغتمية وغلاتها ثمراتها.

(٣) طغيان بالنعمة.

(٤) التافه القليل لا تعذر بتضييعه اذا احكمت واتقنت الكثير المهم.

(٥) لا تشخص أي لا تصرف همك أي اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم وصعر خده أماله إعجاباً وكبراً.

(٦) تقتحمه العين تكره أن تنظر إليه احتقاراً.

(٧) فرغ أي اجعل للبحث عنهم اشخاصاً يتفرغون لمعرفة احوالهم يكونون ممن تثق بهم يخافون الله ويتواضعون لعظمته لا يأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها اليك.

(٨) بالاعذار إلى الله أي بما يقدم لك عذراً عنده.

(٩) الايتام. وذو الرقة في السن المتقدمون فيه.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً[1] تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك[2] من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع[3] فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن[4] (لن تقدس أمة[5] لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع). ثم احتمل الخرق منهم والعي[6] ونح عنه الضيق والأنف[7] يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً[8] وأمنع في إجمال وإعذار.

ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها. منها اجابة عمالك بما يعي عنه كتابك[9] ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به

---

(١) لذوي الحاجات أي المتظلمين تتفرغ فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.
(٢) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ والأحراس جمع حرس بالتحريك من يحرس الحاكم من وصول المكروه والشرط بضم ففتح طائفة من أعوان الحاكم وهم المعروفون الآن بالضابطة واحده شرطة بضم فسكون.
(٣) التعتعة في الكلام التردد فيه من عجز وعي والمراد غير خائف تعبيراً باللازم.
(٤) أي في مواطن كثيرة.
(٥) التقديس التطهير أي لا يطهر الله امة الخ.
(٦) الخرق بالضم العنف ضد الرفق والعي بالكسر العجز عن النطق أي لا تضجر من هذا ولا تغضب لذاك.
(٧) الضيق ضيق الصدر بسوء الخلق والأنف محركة الاستنكاف والاستكبار. واكناف الرحمة أطرافها.
(٨) سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.
(٩) يعي يعجز.

صدور أعوانك[1] وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام[2] وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص[3] بالغاً من بدنك ما بلغ وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعاً[4] فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني إلى اليمن كيف اصلي بهم فقال (صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً).

واما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات[5] تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما أنت أحد رجلين. اما امرؤ سخت نفسك بالبذل

---

(١) حرج يحرج من باب تعب ضاق. والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو اظهاراً للجبروت.

(٢) أجزلها اعظمها.

(٣) غير مثلوم أي غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء وبالغاً حال بعد الأحوال السابقة أي وان بلغ من اتعاب بدنك أي مبلغ.

(٤) التنفير بالتطويل. والتضييع بالنقص في الاركان. والمطلوب التوسط.

(٥) سمات جمع سمة بكسر ففتح العلامة أي ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب وانما يعرف ذلك بالامتحان ولا يكون بالمخالطة.

في الحق ففيم احتجابك[1] من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه . أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسالتك إذا أيسوا من ذلك[2] مع ان أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة[3] أو طلب إنصاف في معاملة .

ثم للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال[4] ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة[5] ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على علم غيرهم فيكون مهنأ ذلك الهم دونك[6] وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة[7] .

---

(١) فلاي سبب تحتجب عن الناس في اداء حقهم أو في عمل تمنحه اياهم .

(٢) البذل العطاء فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك اسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب .

(٣) شكاة بالفتح شكاية .

(٤) فاحسم أي اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم إانما يكون الأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة .

(٥) الاقطاع المنحة من الأرض . والقطيعة الممنوح منها . والحامة كالطامة الخاصة والقرابة . والاعتقاد الامتلاك . والعقدة بالضم الضيعة . واعتقاد الضيعة اقتناؤها . وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها أي يقرب منها من الناس في شرب بالكسر وهو كالنصيب في الماء .

(٦) مهنأه منفعة الهنيئة .

(٧) المغبة كمحبة العاقبة والزام الحق لمن لزمهم وان ثقل على الوالي وعليهم فهو محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة .

وان ظنت الرعية بك حيفاً فاصحر لهم بعذرك[1] واعدل عنك ظنونهم باصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضي فإن في الصلح دعة لجنودك[2] وراحة من همومك وأمناً لبلادك.

ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل[3] فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة[4] فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة. دون ما أعطيت[5] فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[6] وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمون[7] لما استوبلوا

(١) وان فعلت فعلاً ظنت الرعية أن فيه حيفاً إي ظلماً فاصحر أي ابرز لهم وبين عذرك فيه. وعدل عنه كذا نحاه عنه والاصحار الظهور من اصحر اذا برز في الصحراء. ورياضة تعويداً لنفسك على العدل. والاعذار بتقديم العذر أو ابداؤه.

(٢) الدعة محركة الراحة.

(٣) قارب أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

(٤) اصل معنى الذمة وجدان مودع في جبلة الإنسان ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه ويدفعه لاداء ما يجب عليه منها ثم اطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً لمشابهته له في الوقاية من الضرر. وحاطه حفظه.

(٥) الجنة بالضم الوقاية أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٦) الناس مبتدأ واشد خبر والجملة خبر ليس يعني أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم حتى أن المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم فأولى أن يلتزمه المسلمون.

(٧) أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد.

من عواقب الغدر[1] فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك[2] ولا تختلن عدوك. فانه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمنا امضاه بين العباد برحمته[3] وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره[4] فلا ادغال ولا مدالسة[5] ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل[6] ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[7] فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

---

(١) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة وما والفعل بعدها في تأويل مصدر أي استيبالهم.

(٢) خاس بعهده خان ونقضه والختل الخداع.

(٣) الأمن الأمان وافضاه هنا بمعنى افشاه واصله المزيد من فضا فضوا من باب قعد أي اتسع فالرباعي بمعنى وسعه والسعة مجازية يراد بها الافشاء والانتشار والحريم ما حرم عليك أن تمسه والمنعة بالتحريك ما تمتنع به من القوة.

(٤) يستفيضون أي يفزعون إليه بسرعة.

(٥) الادغال الافساد والمدالسة الخيانة.

(٦) العلل جمع علة وهي في العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد وذلك يطرأ على الكلام عند ابهامه وعدم صراحته ولحن القول ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض فإذا تعلل بهذا المعاقد لك وطلب شيئاً لا يوافق ما اكدته واخذت عليه الميثاق فلا تعول عليه وكذلك لو رأيت ثقلاً من التزام العهد فلا تركن إلى لحن القول لتتملص منه فخذ باصرح الوجوه لك وعليك.

(٧) وان تحيط عطف على تبعة وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته ويأخذ الطلب بجميع اطرافك فلا يمكنك التخلص منه ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقيلك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض.

اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شئ أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن[1]. وأن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك[2] أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء[3] فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك[4] أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس[5] قال الله تعالى ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴿٣﴾ ﴾ [**الصف** : ٣].

(١) القود بالتحريك القصاص واضافته للبدن لانه يقع عليه.

(٢) أفرط عليك عجل بما لم تكن تريده. أردت تأديباً فاعقب قتلاً وقوله فإن في الوكزة تعليل لإفراط. والوكزة بفتح فسكون الضربة بجمع الكف بضم الجيم أي قبضته وهي المعروفة باللكمة وقوله فلا تطمحن أي لا يرتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية اليهم في القتل الخطأ جواب الشرط.

(٣) الإطراء المبالغة في الثناء والفرصة بالضم حادث يمكنك لوسعيت من الوصول لمقصدك والعجب في الإنسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده وهو محق الإحسان بما يتبعه من الغرور والتعالي بالفعل على من وصل إليه أثره.

(٤) التزيد كالتقيد إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.

(٥) المقت البغض والسخط.

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التسقط فيها عند إمكانها[1] أو اللجاجة فيها إذا تنكرت[2] أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة[3] والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم.

أملك حمية أنفك[4] وسورة جدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة[5] وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو اثر عن نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله فتقتدي

---

(١) التسقط من قولهم تسقط في الخبر يتسقط إذا أخذه قليلاً يريد به هنا التهاون وفي نسخة التساقط بمد السين من ساقط الفرس عدوه إذا جاء مسترخياً.

(٢) تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها واللجاجة الإصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه والوهن الضعف.

(٣) احذر ان تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس وهو مما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة والتغابي التغافل وما يعني به مبني للمجهول أي يهتم به.

(٤) يقال فلان حمي الأنف إذا كان أبياً يأنف الضيم أي أملك نفسك عند الغضب والسورة بفتح السين وسكون الواو والحدة بالفتح البأس والغرب بفتح فسكون الحد تشبيهاً له بحد السيف ونحوه.

(٥) البادرة ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه. واطلاق اللسان يزيد الغضب اتقاداً والسكوت يطفيء من لهبه.

بما شاهدت مما عملنا به فيها[1] وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة[2] أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه[3] مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة[4] وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة إنا إليه راغبون. والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام.

دراسة تحليلية للحقوق التي وردت بالوثيقة

أولاً: الحق في أن يحكم الإنسان بشريعة الله

وهو من الحقوق التي لا تقررها المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان لأنها جميعاً تستبعد أحكام السماء وتجعل مرجعيتها ما تراه نافعاً للبشر. وصالحاً لهم. لكن لأن المنهج الإسلامي مختلف، والمرجعية الأساسية في الحكم هي لله ولأحكام الشريعة، فإن هذا الحق يعد أحد الحقوق الرئيسية للإنسان الذي يجب عدم التفريط فيه على الإطلاق، وهو يحقق الآتي:

---

(١) ضمير فيها يعود إلى جميع ما تقدم أي تذكر كل ذلك وأعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل وأحذر التأويل حسب الهوى.

(٢) على متعلقة بقدره.

(٣) يريد من العذر الواضح العدل فإنه عذر لك عند من قضيت عليه وعذر عند الله فيمن اجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة.

(٤) أي زيادة الكرامة أضعافاً.

١ ـ عدم تسلط الحاكم فرداً أو هيئة أو جماعة، كذا فهو لا يسمح للسلطة التشريعية بإصدار تشريعات تحقق مصالح فئة على فئة أو تغلب إرادة جماعة على جماعة.

٢ ـ وكنتيجة لذلك تقوم بضبط مقررات الحكام والهيئات وإخضاعها للمعايير التي نزلت من السماء لحكم الأرض.

٣ ـ ولكي يجبر الحاكم على التراجع عن كل ما يخالف أحكام الله، فإن هيئة قضائية كالمحكمة الدستورية العليا في مصر ـ على سبيل المثال ـ يمكنها أن تلغى كل قانون أو لائحة أو قرار يثبت لديها عدم دستوريته والدستورية تعني التطابق بين أحكام الشريعة وبين القانون أو القرار. وهو الأمر القائم كما قلت في مصر وفي بعض الدول الإسلامية الأخرى التي يعتبر دستورها الشريعة الإسلامية هي المرجعية لسلامة العمل القانوني، وبالتالي ألغت الكثير من القوانين التي تخالف الشريعة.

ولنرجع لوصايا علي للأشتر النخعي بهذا الخصوص:

١ ـ أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها.

٢ ـ وأمره بأن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب، مما يشتبه عليه من الأمور إاباعاً لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول** ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول، الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

٣ـ وبالنسبة لضمانة تطبيق العدل والحكم بما أنزل الله أمره باختيار «أفضل رعيته للحكم بين الناس ممن لا يضيق به الأمور، ولا تمحكه ـ أي يغضبه ـ الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ـ بمعنى لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق . . . ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ـ أي لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم دون أن يأتي على أقصى فهم بعد التأمل والتمحق في الأمور». وتمضي الرسالة تتكلم عن الشروط الواجب توافرها في القضاة فتقول: «وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرحهم عن إتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستمليه إغراء».

٤ـ أما واجبات الوالي ـ أو الدولة الآن، وما ينبغي أن تقدمه للقضاء فتلخصها الرسالة بقولها «أكثر تعاهد قضائه ـ أي تتبعه بالاستكشاف والتعرف والتأكد من سلامة الأحكام ومن توافر الشروط السابقة بالقضاة. ويوصيه بأن يقسم لهم في البذل ما يكفي لازالة علته ـ أي أكثر له المكافأة والأجر حتى يكون ما يأخذه يكفيه في المعيشة، وفي حفظ المنزلة ـ وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزله لديك ما لا يطمح فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإن هذا الدين كان أسيراً في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا».

ثانياً: حق الإنسان في أن يحكم بالعدل

تعتبر العدالة أحدى القيم الرئيسية التي يجب أن تحققها للناس أي حكومة ناجحة. ولا يمكن أن يكون هناك حكم ناجح إلا إذا كان عادلاً

والعدل ـ كما هو سائر بين العرب ـ هو أساس الملك . وتشيع في رسالة علي رضي الله عنه أفكار العدالة وضرورة تحقيقها في أكثر من موضع . لذا نستطيع أن نقول إن حق الإنسان في أن يحكم بعدالة ـ أو حق الإنسان في العدل يعد أحد أهم الحقوق التي وردت في هذه الرسالة .

ونجد الإمام علي ينبه الأشتر في بداية الرسالة إلى أنه سيحكم مصر ، وهي بلد كبير سبق أن حكمها قبله حضارات وأمم سابقة يجب التنبه إلى كيف ساسوا هذه البلاد ليعتبر بتجربتهم ويحكم بخبرتهم وبالذات في مسائل العدل والانصاف . ويقول الخطاب :

«أعلم يا مالك اني وقد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وأن الناس ينتظرون من أمورك في مثل ما كنت فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت . . . ، ويعني ذلك أن الشح بالنفس ليس إبقاءها كل ما تحب بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك من الحق فرب محبوب يعقب هلاكاً ، ومكروه يحمد عاقبة» .

ونجده بعد ذلك يخاطبه على النحو الآتي : «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب . وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد» .

«وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية».

ونجد في هذا الكتاب بلورة لحق لا يتحقق بسهولة الآن، وهو الحق في الشكوى وتفرغ ولي الأمر لإقامة العدالة بين الناس بنفسه، وبشكل سريع لا تؤخر فيه عمل اليوم إلى الغد وهذه عبارة الخطاب «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك، من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول: «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع». ثم احتمل الخرق منهم والعى ونح الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار».

«ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها. منها إجابة عمالك بما يعى عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به صدور اعوانك، وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية».

ومن أسس العدالة، المساواة بين الناس، والإحسان إلى المحسن، والإساءة إلى المسيء وأخذه بذنبه لذا ينبه على الأشتر إلى أنه «لا يكونن المحسن والمسيئ عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه». ويقول

الإمام محمد عبده في شرح هذه الفقرة أن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن ألزم نفسه استحقاق الكرامة.

ومن وجوه العدالة التي نبه إليها الكتاب كذلك، حسن ظن الحاكم، برعيته حتى تسود الثقة بينه وبينهم وعدم تكليفهم إلا بمقدور عملاً بقوله تعالى ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾** ﴾ (البقرة، ٢٨٦).

لذا نستطيع أن نستخلص حقاً من حقوق الإنسان لا تتحدث عنه الوثائق الحديثة هو حقه في ألا يكلف إلا ما يقدر عليه.

ويعتبر هذا الحق أساساً من أسس العدالة وتطبيق لهدف هام من أهداف الشريعة وهو رفع الحرج والتيسير على الناس. وننقل هنا عبارات الإمام علي كرم الله وجهه: «واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته ومن إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عنهم، وترك استكراهه أياهم على ما ليس قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده».

ثالثاً: حق الإنسان في اختيار عناصر صالحة لحكمه

يضع الإمام علي خبرته في الناس لواليه على بلد هام كمصر، ويعطيه خصائص من يتولى مشورته فيستبعد هؤلاء من المشورة: «لا تدخلن في شورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن

الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».

وممن يجب استبعادهم كذلك «إن شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ومن مشاركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة، فإنهم اعوان الأثمة واخوان الظلمة». وعلى العكس فإنه يجب أن يستعمل بدلاً منهم «ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على اثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً».

أما الصفات التي يجب أن يتحلى بها خاصة الإمام وأهل شورته فهي:

١ ـ من الذي يقول لك الحق ولو كان مراً.

«ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك».

٢ ـ من لا يساعدك على ما تهوى مما يكره الله.

«وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأولئك واقعاً من هواك حيث وقع».

٣ ـ أن يكون من أهل الورع والصدق.

«وألصق بأهل الورع والصدق».

٤ ـ ضرورة منع المقربين من اطراء الوالي:

«رضهم على أن لا يطروك، ولا يبجحوك ـ أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك لم تكن فعلته ـ بباطل لم تفعله فإن كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة».

ويكمل هذا الحق ضرورة مراقبة الحاكم للموظفين حتى لا يسيئوا معاملة

الناس وواجبه في أن يكون قريباً من الناس، يعرف مشاكلهم، ويتولى بنفسه انصاف المظلوم، يقول الخطاب: «وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين، إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه. أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا ايسوا من ذلك، مع أن اكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب انصاف في معاملة».

«ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة».

رابعاً: الحق في الحياة

شدد الخطاب على احترام الحق في الحيا، وحذر الوالي من أن يعتدى على هذا الحق، أو يتهاون في معاقبة من يسلبه من أحد من الناس يقول: «إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شئ ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها. والله سبحانه وتعالى مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة.

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن».

وإذا كان القتل على سبيل الخطأ، أو إذا كان ضرباً أفضى إلى موت من قبل الوالي نفسه، فإن القاتل يلتزم بدفع الدية إلى أولياء المقتول «وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الركزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم».

خامساً: الحق في الخصوصية

نصت المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان على حق الإنسان في الخصوصية من ذلك ما ورد في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية من أنه لا يجوز تعريض أي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته أو شئون أسرته أو بيته أو مراسلاته ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته (المادة ١٧).

أما عبارة الإمام علي بن أبي طالب فقد وردت على النحو الآتي:

«ليكن أبعد رعيتك منك واشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك».

سادساً: حق العامل في أجر يكفيه

وهو من حقوق الإنسان الآن، ويرتبط تماماً بالحق في العمل، والحق في أجر يكفي الحاجة. وخطاب الإمام علي ينبه إلى أهمية هذا الحق، وإلى

ضرورة أن يعطي الوالي لمن يقومون على أمر الناس حقهم من بيت المال.

يقول الكتاب: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى بعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلاً قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله عهداً منه عندنا محفوظاً».

«فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مالا يبلغه رفق غيرهم».

سابعاً: الحق في الضمان الاجتماعي

كذلك يولى كتاب الأمام الطبقة الضعيفة عناية خاصة ويوجب أن يعطوا ما يكفيهم من بيت المال حيث لكل فئة حقوق فيه وهذه هي عبارة الخطاب: «ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج

الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل».

فهذا هو الحق في الضمان الاجتماعي يجب على الوالي أن يعطيه للفقراء والمحتاجين، فهو أذن ليس حقاً مستحدثاً وإنما له أصل في الإسلام منذ وقت طويل.

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البوسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافى الإسلام في كل بلد، فإن للاقصى منهم مثل الذي للادنى، وكل قد استرعيت حقه. فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه، لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال. ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية احوج إلى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية احوج إلى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتيم، وذوى الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل. والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم».

ثامناً: الحق في الوفاء بالعهد

وهو حق أساسي من حقوق الإنسان، ولكنه يظهر أكثر في التعامل مع الاعداء، ويقول الكتاب: «ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه

رضى فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمه، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسملين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك. فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره فلا ادغال ولا مدالسة، ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته وإن تحيط بك من الله فيه طلبة، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك».

خاتمـــــــة

وهكذا حاولنا أن نستخلص ما ورد في الرسالة من الحقوق ولكن الرسالة في الواقع من أبلغ الوثائق معنى ولفظاً ويجب أن تدرس هي وغيرها ويركز على ما فيها من قواعد ومبادئ أخرى، لا تتصل بالضرورة بحقوق الإنسان وحرياته، وإنما تتصل بدستور العلاقة بين الحاكم والمحكوم بشكل عام، وهي تتناول فنوناً واضحة للتعامل تنبع من تعاليم الإسلام وأسسه ويدخل غالبها في باب السياسة الشرعية.

ونود التركيز على أن أهم ضمان للحقوق هو تقوى الله سبحانه وتعالى والاحساس بإنه يراقبنا في السر والعلن، وتقوية المحكومين بالثقة فيهم والبر بهم وتعويدهم على مجاهرة الحاكم بالخطأ، وأهم من كل ذلك الحكم فيهم بشريعة الله سبحانه وتعالى.

وقد ورد بالوثيقة العديد من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية بالمفهوم الحديث، تعرضنا لبعضها وهو الحق في العمل والأجر العادل، وفي حد أدنى من الدخل تكفله الدولة لمن يحتاج إليه، لكن الوثيقة متضمنة لحقوق أخرى كثيرة، إنني أكتفي الآن بفتح باب هام لدراسات لوثائق هامة موجودة بكثرة في تاريخنا وتحتاج إلى كثير من الصبر للكشف عن معانيها ولبيان ما فيها من أحكام تفصل المجمل من أحكام الكتاب والسنة. وترينا كيف فهم القادة والأئمة والعلماء هذه النصوص، وكيف قاموا بتطبيقها في حياة الأمة الإسلامية.

إننا نحتاج إلى الكشف عن كنوزنا واستخدام بضاعتنا بدلاً من الجرى وراء غيرنا، واستخدام معايير لحياتنا تختلف عن الأصالة التي نجدها في تاريخنا وتراثنا.

وبعد، فالله نرجو أن يوفقنا ويسدد خطانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.